ملامح من الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم

د. محمد الحسن مختار بلال*

د. أحمد عثمان فضيل**

ملخص البحث:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن ملامح من الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم ، وذلك من خلال أربعة محاور رئيسة هي: المحور التركيبي، والمحور الدلالي، والمحور الصوتي، والمحور النحوي.وقد استخدم الباحثان المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج المناسب للإيفاء بمتطلبات الدراسة، ومن أهم النتائج التي توصلا إليها في هذه الدراسة إن بعض الظواهر الصوتية لها دور في تحديد دلالة الأصوات والكلمات في الجمل والآيات القرآنية،كما إن العلماء القدامى والمحدثين لم ينكروا الجانب الدلالي في هذه الأصوات المتجاورة في تحقيق بعض المعاني الدلالية،وقد أوصى الباحثان بعدد من التوصيات أهمها، ضرورة وضع الأسس و القواعد التي تضبط الاجتهاد في بيان الإعجاز اللغوي في القرآن، والإسهام في إعداد علماء وباحثين لدراسة المسائل العلمية، والحقائق الكونية؛ في ضوء ما ثبت في القرآن والسنة، وحث الجامعات على إتاحة الفرص والتشجيع على التسجيل في الدراسات العليا، وتقديم المنح الدراسية في مجال الإعجاز العلمي في القرآن والسنة

**أستاذ مشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة الإمام المهدي

*أستاذ مشارك بكلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة الإمام المهدي

Abstract:

"Some Aspects of the Linguistic Miracles in the Holy Qura'n"

The study aimed to reveal some of the features of linguistic miracles in the Holy Qura'n through four main areas which are: the structural, the semantic, the phonological and the grammatical aspects. The researchers used the descriptive analytical approach as the most suitable method to answer the questions in the study. The most important findings of the study were that some phonological phenomena have determining role on the semantic aspect of sounds, the words in sentences, and Qura'nic verses in this study. Moreover, the old and later scholar did not reject the semantic aspect of these adjacent sounds in the realization of particular semantic meanings. Accordingly, the researchers provided a number of recommendations the most important of which were: the necessity of establishing the criteria and rules that govern innovative interpretation of the scientific miracles in the Qura'n and; the need for contributions to train scholars and researchers to study the scientific issues and the universal truths in accordance to what has been testified by the Qura'n and the Sunnah as well as encouraging universities to give support and opportunities in postgraduate registration and grants in the area of the scientific miracles within the Holy Qura'n and the Sunnah.

مقدمة

القرآن الكريم كتاب الله ومعجزته الخالدة،تحدى به الثقلين من الإنس والجن أن يأتوا بمثله أو بشيء من مثله، فعجزوا وما استطاعوا وما استحقوا على عجزهم لوما ولا عتابا فأنى لهم أن يأتوا بكلام كالقرآن، كلام حف بالهيبة، وامتاز بالسمو، وتكامل فيه الشكل والمضمون وتآلفا،فكل منهما يخدم الآخر ويقويه، فكان ذلك إعجازا ما بعده إعجاز من ذلك الإعجاز القرآني الدقة في اختيار المفردات، فكل كلمة تأتي في مكانها المناسب لها، فلو غير موضعها بتقديم أو تأخير أو جمع أو تثنية أو إفراد لتأثر المعنى ولم يؤد ما أريد منه، وكذلك لو جيء مكانه بكلمة أخرى ترادفه لم تقم بالمطلوب أبدا رأينا في هذا الموضوع أن ننظر الإعجاز اللغوي في مستواه من حيث جمله، ودلالته، وصوته، ونحوه، آملين من الله تعالى أن يوقفنا في خدمة كتابة الكريم.

أهمية البحث

تنبع أهمية هذا الموضوع من أن القرآن كان وما يزال وسيظل سببا رئيسا لانبهار العلماء لبيانه المعجز، ولغته العالية،وبيانه الساحر، وتأثيره العجيب على الناس، ونفي الشبه عنه التي أثارها الملحدون، لذا فهو جدير بالبحث والدراسة لاستخراج كنوزه التي لا تنفد، وأسراره التي لا تنتهي.

أهداف البحث

1 . الوقوف على أهمية اللغة في حياة الإنسان، ولاسيما العربي في عصر نزول القرآن. وفي توجهاته وتفكيره وقوته وضعفه وخوفه وشجاعته وهمته وانتكاسه وغير ذلك مما يتعلق بالإنسان خليفة الله تعالى في الأرض.

2. بيان ما للإعجاز اللغوي من أهمية في واقعنا المعاصر، وبإثباته يستلزم منه إثبات جميع وجوه الإعجاز الأخرى،لأنها تبع له، ويرى كثير من العلماء أن الإعجاز اللغوي هو الأصل الذي وقع به التحدي.

3. الوقوف على صور التلاؤم الصوتي، والدلالي، والنحوي، والتركيبي في القرآن الكريم، ومن المعلوم أن هذه الألوان مما ترتاح إليه النفس العالمة بأسرار الفن التعبيري، ومفاتيح الجمال، التي تشارك في رونق الاداء وطلاوته.

منهج البحث

اتبعنا في كتابة هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي باعتباره المنهج المناسب للإيفاء بمتطلبات الدراسة.

أسباب اختيار البحث

1. الكشف عن الجمال التعبيري في القرآن، وأطايب الكلام، فالإعجازُ أمرٌ ملموس فيه، وسبحانَ الله الذي جعل في كتابه على تنوع طرق أدائه لمفرداته روعةً وحسناً وجمالاً ونكهة.

2. خدمة كتاب الله بهذا اللون المهم من الدراسة، لأن الحاجة ماسة،ومتجددة للكتابة حول إعجاز القرآن الكريم، هذا الكتاب الذي لا يأتي الباطل من بين يديه ولا من خلفه

3. الوقوف على فصاحة القرآن وبلاغته العالية والتي تمتلك القلوب وتشرح لها الصدور، وتسمو بها النفوس، فهي التي انبهر لها العلماء، وأقر بها العقلاء.

الدراسات السابقة

هذا الموضوع ليس جديدا في مباحث علوم القرآن، فقد تناوله علماء كثر قديما وحديثا وما نطرقه ها هنا ما هو إلا جمعٌ لشتات ما تناثر في بطون الكتب،ولا تخرج عن الإطار الذي ذكره السلف، وحسبنا الله أن نبتغي بها وجه الله تعالى.

من الدراسات التي اطلعنا عليها في هذا المجال: الإعجاز اللغوي في القرآن، أهميته وبعض من وجوه إعجازه، د. صديق أحمد مالك، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية، العدد الثالث والعشرون، محرم 1433هـ ديسمبر 2011م، تناول الباحث في دراسته عدة جوانب منها:

تعريف الإعجاز وبيان بعض أنواعه، أهمية الإعجاز، من أوجه الإعجاز اللغوي في القرآن، والوجوه والنظائر والدلالات والإعجاز اللغوي، أسلوب عرض القرآن، وأخيرا نمازج من بلاغة القرآن.

أما هذه الدراسة فقد جاءت تكملة لماسبق فهي تتناول المستوى التركيبي والدلالي والصوتي والنحوي

تمهيد: تعريف الإعجازفي اللغة:

عندما نزل القرآن على الناس، نزل بلغة العرب فكانت الآيات تنطق بلغتهم "الم"، كهيعص"وكان من المعروف بأن العرب من أشد الناس تفاخرا وكبرياء بلغتهم، فتحداهم الله بأن يقولوا كلاما مثل هذا القرآن فقال متحديا العرب: {قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَى مِنْهُمَا أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ}[1] فعجزوا عن ذلك فجاء التحدي بصورة أخرى.... أسهل من الأولى:{قُلْ فَأْتُواْ بِعَشْرِ

(1)سورة القصص، الآية 49

سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُواْ مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ} [1] فعندما انقلبوا خائبين جاء التحدي الفاضح الدال على عجزهم: {وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُواْ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُواْ شُهَدَاءكُم مِّن دُونِ اللّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}[2]

فأثبت القرآن عجزهم التام في هذا.. {قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً}[3]

والإعجاز في اللغة يدل على الضعف وعدم القدرة، وهي من قبيل قولهم: طلبته فأعجز، إذا سبق ولم يدرك [4]، وقال ابن فارس:(العين والجيم والزاي أصلان صحيحان يدل أحدهما على الضعف، والآخر على مؤخر الشيء والأول عجز عن الشيء يعجز عجزا، فهو عاجز،أي:ضعيف، ويقال: أعجزني فلان إذا عجزت عن طلبه وإدراكه،والأصل الثاني: العجز مؤخر الشيء والجمع أعجاز،وأعجاز الأمور أواخرها [5]واعلم أن إعجاز القرآن حجة على العرب وحدهم، لأنهم هم الذين يدركون هذا المعنى فيه، إلا أن العرب حجة بدورهم على سائر الناس، لأنهم إذا رأوا أن أرباب هذه اللغة

(1)سورة هود، الآية 13

(2) البقر الآية ة23

(3) الإسراء الآية 88

(4)أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله،أساس البلاغة بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون الطبعة الأولى 1996 الزمخشري، ص 409.

(5)أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين،مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام محمد هارون دارالفكر 1399هـ - 1979 م، ص، 738.

وأدباءها قد قصر بهم الطرق عن إنشاء مثله،أدركوا أنه معجز وأنه ليس مما يقدر عليه البشر [1]

والمعجزة أمر خارق للعادة يظهره الله على نبي تأييدا لنبوته وما يعجز البشر أن يأتوا بمثله [2]

أما اللغة، فهي أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، جمع لُغَي ولغات، ويقال: سمعت لغاتهم: اختلاف كلامهم [3].

المحور الأول: الإعجاز اللغوي على المستوى التركيبي

كان العرب قد بالغوا لعقد القرآن مبلغهم من تهذيب اللغة ومن كمال الفطرة، ومن دقة الحس البياني، حتى أوشكوا أن يصيروا في هذا المعنى قبيلا واحدا باجتماعهم على بلاغة الكلمة وفصاحة المنطق من بلغائهم وفصحائهم، مع تباعد ديارهم بعضهم عن بعض، وتعاديهم واختلافهم في غير هذا الحس باختلاف قبائلهم ومعايشهم، لأن الكلام هو يدفعهم إلى المنافرة، ويبعثهم على المفاخرة، وما كان الكلام صناعة قوم أصبتهم معه كالجمل المؤلفة يردّ بعضها بعضا ويدور بعضها على بعض، فيكون كل فرد منهم كأنه لفظ حي وكان معنى حياته في الألفاظ وفيه معاً وهذا أمر ثابت ليس فيه منازعة ولا فساد ولا التواء، ولم يظهر في أمة ظهوره في جاهلية العرب الأولى قبل الإسلام، وفي جاهلية الثانية من بعده حتى استفحل أمر الفرق الإسلامية

(1)الإمام الباقلاني، إعجاز القرآن ص 289، انظر الإتقان في علوم القرآن، للأمام السيوطي، دار النشر: دار الفكر – لبنان – 1416هـ– 1996م الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب ج2 ص 119.

(2)إبراهيم أنيس وآخرون، المعجم الوسيط،، ط2، مكتبة الشروق الدولية، 2004، ص 614.

(3) نفس المصدر، ص 867

واستحر الجدال بينهم فأفسدوا عقولهم فجاء القران الكريم أفصح كلام وأبلغه لفظا وأسلوبا ومعنى ليجد السبيل إلى امتلاك الوحدة العربية [1]

كانت هذه الطريقة المعجزة التي نزل بها القرآن هي السبب في حفظ العربية واستخراج علومها ؛ وما كان أصل ذلك إلا التحدي بها، فإن من حكمة هذا التحدي أن يدعوهم إلى النظر في أساليبه ووجه نظمه وتدبر طريقته حتى استيقنوا العجز وأطرقوا عليه كان ذلك سبباً لمن يخلقهم على اللغة إلى استبانة وجوه الإعجاز [2]

يقول محمد أبو موسى:وعلاقات الجمل وتولد بعضها من بعض أو نمو جملة من الجمل داخل جملة حتى ترى جملة الجمل هذه تختلف طولا وقصرا ونظاما ونغما وهي في هذا الاختلاف وهذا التنوع داخلة في أعطاف جملة واحدة، ترى ذلك وغيره في قوله تعالى:{وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً {63} وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً{64} وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَاماً{65} إِنَّهَا سَاءتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً{66} وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً{67} وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَاماً{68} يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَاناً{69} إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَّحِيماً

(1) مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ط9، 1393هـ ـ 1973م ص ـ 166

(2) نفسه، ـ 239

} [1]حيث تتكاثر الجمل الداخلة في حيز هذا المبتدأ {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ} وينتهي خبر هذا المبتدأ عند آية (70) حيث يبنى الخبر الأخير على إعادة المبتدأ باسم الإشارة و{ فَأُوْلَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ }بذلك يكون عندنا عشر آيات هي جملة واحدة مكونة. من مبتدأ وخبر وهذا تحليلها:

الخبر الأول {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً } هذا خبر وهو مكون من الموصول وصلته وما عطف على هذه الصلة لأن جملة الشرط{وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً}داخل في حيز الصلة لأنه معطوف على{ يَمْشُونَ} وليس معطوفاً على الموصول، ثم إنه مع أنه معطوف على الصلة وداخل في حيزها دخل في تكوينه جملتان هما الشرط والجزاء [2]، وهكذا تجد هذا الخبر قد دخل في تكوينه جمل ثلاث لا محل لها من الإعراب، وتأمل الحال الذي في الجملة الأولى { يَمْشُونَ} تجد فيه من المعنى واللطف والرفق ما لا يستطاع تحليله لأنه ليس المراد أنهم يمشون على الأرض هينين لينين متواضعين فحسب، وإنما المعنى متسع جداً لأن منه أنهم يبثون في الأرض الرفق والرحمة والإنصاف، ولا يفعل ذلك إلا من كان شديد الأيد قادرا على أن يجاهد ويجالد كل ذي طغيان يبث الظلم والفزع والغلظة والرهبة في حياة الناس، هم قوم موكلون في هذه الأرض ببث الرحمة والعدل والخير فحين تراه أخا سلاح ممسكا بعنان فرسه كلما سمع هيعة طار إليها، فهو {وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْناً }لأنه إنما يفزع لدفع العدوان والباطل وكل ما هو عدو للإنسان.

(1) سورة الفرقان: من الآية 63 ـ 70

(2)محمد محمد أبو موسى،دلالات التراكيب، دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، مصر،القاهرة الطبعة الثانية 1408 . 1987 ص 60

والجملة الثانية {وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَاماً}فيها أنهم لا يستهلكون حياتهم وجهودهم في ثرثرة الكلام ولجاجاتأهل الجهل [1]

إنه الإعجاز الإلهي الذي يتجلى في الكون كله، ويحف بالقرآن كله، مجموعه وجزئياته، كلماته وحروفه، معانيه وأسراره، ليكون النور الذي أراد الله أن يهدي ويسعد به كل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد.

قد تأتي الجملة الواحدة في سياقين مختلفين، أو في سياق واحد ويقدم فيها المتعلق مرة ويؤخر أخرى ويكون وراء هذا التصرف مغزى جليل.

انظر إلى قوله:{لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيداً}[2] تأخر المتعلق على شبه الجملة في قوله شهداء على الناس وتقدم في قوله (شهيداً عليكم) وذلك لأن الغرض في الأولى إثبات شهادتهم على الأمم وليس فيها معنى الاختصاص، وفي الثانية اختصاصهم بكون الرسول شهيداً عليهم وليس مجرد إثبات شهادتهم عليهم وهكذا كان اختلاف ترتيب الكلمتين في الموقعين مؤدياً إلى هذا الفرق الجليل [3]

ومن الأسس التي بنى عليها ترتيب المتعلقات أنهم يقدمون منها ما هو أوثق صلة بغرض الكلام وسياقة، انظر قوله تعالى:{وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُم مِّنْ إمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ} [4] وقوله في آية أخرى: {وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاقٍ

(1) دلالات التراكيب، محمد أبو موسى،61

(2) سورة البقرة الآية ـ 143

(3) محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب،دراسة بلاغية محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة الطبعة الثانية 1408 . 1987 ط2،ص 364

(4) سورة الأنعام، الآية ـ 151

نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم}[1]قال في الأولى نرقكم وأياهم، فقدم ضمير المخاطبين على الأولاد، وقال في الثانية: نحن نرزقكم وإياهم فقدم ضمير الأولاد على المخاطبين، وذلك أن الخطاب في الأولى للفقراء بدليل قوله من إملاق المفيد أنهم في إملاق فكان رزقهم أهم عندهم من رزق أولادهم لأنهم في حاجة إليه الآن، فقدم الوعد برزقهم على الوعد برزق أولادهم، والخطاب في الثانية للأغنياء بدليل قوله خشية إملاق فإن الخشية إنما تكون من أمر لم يقع فكان رزق أولادهم في هذا السياق هو المطلوب دون رزقهم، وهذا من غاية الدقة في الأعجاز اللغوي [2]

المحور الثاني:الإعجاز اللغوي على المستوى الدلالي

مدخل: يمثل علم الدلالة واحدا من مستويات دراسة اللغة (المستوى الدلالي)، لأنه يهتم بدراسة المعنى الذي تخلص إليه المستويات الأخرى. وبذلك فهو يهتم بدراسة معاني الكلمات، بعدّها علامات لغوية، وهو إذن فرع من علم السيمولوجيا (علم العلامات). وعلم الدلالة علم حديث يهتم بدراسة كل ما يسهم في المعنى، وموضوعه مشكلة من المشكلات اللسانية القديمة... والدلالة تقوم على جانب مادي (الدال)، وجانب ذهني (المدلول)، وهما مجتمعان وغير منفصلين كوجهي الورقة الواحدة. وعلى ضوء هذا المفهوم سنتناول مفردات قرآنية مترادفة ولكن الأسلوب القرآني الدقيق فرق،واقرأ هذه الآيات، وتأملها، فستجد أن كلا منها يبث المعنى في خيالك عن طريق جرس الكلمات وتناسقها قبل أن ينقل إلى ذهنك هذا المعنى عن طريق

(1) سورة الإسراء، الآية ـ 31

(2) محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب،دراسة بلاغية محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر، القاهرة الطبعة الثانية 1408 . 1987 ط2،ص . 367

الدلالة اللغوية، ألا ترى إلى المعنى الذي يصوره قوله عز وجل {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلاً لَّوَلَّوْاْ إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ }[1] قد يحسب صاحب النظرة العجلى أن هذه الكلمات الثلاث:ملجأ، مغارات، مدخل، مترادفة المعنى، ولكنها في الحقيقة ليست كذلك بل كل منها يصور في الذهن شكلا معينا للملاذ الذي يبحث عنه المنهزم والخائف بدءا من الشكل الطبيعي المألوف، وهو الملجأ المعتاد من دار، أو غرفة، أو جماعة من الناس إلى الشكل الذي لا يألفه ويرتضيه إلا من اشتد خوفه، وهو المغارة في باطن الأرض أو بطن جبل، إلى الشكل الذي هو أبعد في القول والإلف في كليهما وهو المدخل، أي المكان الضيق الذي لا يستطيع هذا الخائف أن يقتحمه إلا بجهد، ولا يكاد يستقر فيه إلا تضاؤلا والتصاقا، انظر كيف تؤدي كلمة مدخلا هذه الصورة وتجسدها في الحس بوزنها وجرسها وشدة الدال فيها [2] وكذلك شأن أكثر كلمات القرآن، ما من واحدة منها إلا وتستعمل لطائفه من المعاني المتغايرة وإنما القاسم المشترك بينها علاقات سطحية تصل ما بينها، فأنت لا تملك من اللغة إلا ما يعبر عن هذه المعاني السطحية القريبة، بحيث إذا أردت الغوص إلى دقائق المعاني المتشعبة تخلفت عنك طاقة التعبير وبقيت مع مشاعرك الصامتة[3]

لفظة وراء وأمام:

(1) سورة التوبة: الآية 57

(2) محمد سعيد رمضان البوطي، مجلة وزارة الثقافة والإعلام، دولة الإمارات العربية المتحدة، الإدارة الثقافية، 1400 . 1401، 1980 . 1981، ص 289.288

(3)الإمام السيوطي، المزهر في علوم اللغة، ج1 تحقيق:محمد أحمد جاد المولى – محمد أبو الفضل – علي البجاوي.دار النشر:مكتبة دار التراثط3. ص 3164)

قال تعالى:{وَكَانَ وَرَاءهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْباً }[1]فلماذا قال تعالى عن الملك انه وراءهم وهو خلفهم....جاء في تفسير القرطبي توضيح ذلك حيث قال (يقول القائل كيف قال " من ورائه " وهي أمامه ؟ فزعم أبو عبيد وأبو علي قطرب أن هذا من الأضداد ، وأن وراء في معنى قدام ، وهذا غير محصل ؛ لأن أمام ضد وراء ، وإنما يصلح هذا في الأوقات ، كقولك للرجل إذا وعد وعدا في رجب لرمضان ثم قال: ومن ورائك شعبان لجاز وإن كان أمامه، لأنه يخلفه إلى وقت وعده؛ وأشار إلى هذا القول أيضا القشيري وقال: إنما يقال هذا في الأوقات، ولا يقال للرجل أمامك إنه وراءك؛ قال الفراء: وجوزه غيره؛ والقوم ما كانوا عالمين بخبر الملك، فأخبر الله تعالى الخضر حتى عيب السفينة؛ وذكره الزجاج. وقال الماوردي:اختلف أهل العربية في استعمال وراء موضع أمام على ثلاثة أقوال: [أحدها [يجوز استعمالها بكل حال وفي كل مكان وهو من الأضداد قال الله تعالى: "{وَمِن وَرَائِهِم بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ }[2] أي من أمامهم: وقال الشاعر: أترجو بنو مروان سمعي وطاعتي وقومي تميم والفلاة ورائيا يعني أمامي. [والثاني] أن وراء تستعمل في موضع أمام في المواقيت والأزمان لأن الإنسان يجوزها فتصير وراءه ولا يجوز في غيرها. [الثالث] أنه يجوز في الأجسام التي لا وجه لها كحجرين متقابلين كل واحد منهما وراء الآخر ولا يجوز في غيرهما ؛ وهذا قول علي بن عيس .[3]

(1) سورة الكهف، الآية .79

(2) سورة المؤمنون: الآية100

(3)أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1405هـ - 1985، ج11، ص 36

لفظتا: تستطع – تسطع

ايضا من الاعجاز اللغوي في سوره الكهف قوله تعالى{قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً} ([1]) وفي آية الأخرى قال:{ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً}[2]فلماذا قال تعالى في الآية الأولى تستطع وفي الآية الثانية تسطع.

جاء في تفسير بن كثير قوله {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً }: أي هذا تفسير ما ضقت به ذرعا ولم تصبر حتى أخبرك به ابتداء ولما أن فسره له وبينه ووضحه وأزال المشكل قال " تسطع " وقبل ذلك كان الإشكال قويا ثقيلا فقال: { سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً }فقابل الأثقل بالأثقل والأخف بالأخف[3]

لفظتا :اسطاعوا – استطاعوا

قال " فما اسطاعوا أن يظهروه " وهو الصعود إلى أعلاه " وما استطاعوا له نقبا " وهو أشق من ذلك فقابل كلا بما يناسبه لفظا ومعنى والله أعلم

تسطع" و "تستطع"، "اسطاعوا" و"استطاعوا

ذكر الله تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام مع الخضر في سورة الكهف ثلاثة أحداث أثارت اعتراض سيدنا موسى وهي خرق السفينة وقتل الغلام وبناء الجدار بدون أجر.. وقبل أن يفارق الخضر سيدنا موسى ذكر

(1) سورة الكهف، الآية ـ 78

(2) سورة الكهف، الآية ـ 82

(3)ابن كثير تفسير القرآن العظيم: أبوالفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي [700 –774هـ]، تفسير القرآن العظيم تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط2: 1420هـ – 1999 ج98، ص 198

له الحكمة من الثلاثة أفعال... ولكنه قبل أن يؤوِّل سببها قالله:{هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِع عَّلَيْهِ صَبْراً}وبعدما أول لسيدنا موسى الأحداث قال {ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْراً له"أثبت التاء في " تستطع "وحذفها في " تسطع " فما الحكمة من ذلك ؟؟

لقد راعى السياق القرآني الحالة النفسية لسيدنا موسى عليه السلام قبل أن يعرف تأويل سبب تلك الأفعال التي أنكرها فناسَب إظهار التاء في " تستطع " لبيان ثقل هذا الأمر عليه بسبب الهم والفكر الحائر. فصار بناء الفعل ثقيلا (خمسة أحرف) فناسب ثقل الهم ثقل بناء الفعل.

وحذف التاء من كلمة " تسطع " مما جعل بناء الفعل مخففا (أربعة أحرف (وهذا التخفيف مناسب للتخفيف في مشاعر سيدنا موسى بعد أن علم الحكمة من أفعال الخضر فارتاحت نفسه وزال ثقلها.

ومثل ذلك في نفس السورة الكريمة عند الحديث عن سد ذي القرنين الذي بناه ليمنع خروج يأجوج ومأجوج قال تعالى " :فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا.

معنى يظهروه: يتسلقوه.... ومعنى نقباً: نقضه بالحفر .

حذفت التاء في "فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ " لأن المعنى هو عدم استطاعتهم تسلق السد لكونه أملس وخاليا من أي نتوء يمكن الإمساك به. وبما أن التسلق يحتاج خفة و رشاقة ومهارة... وكلما كان الشخص أخف كان تسلقه أسهل.. جاء تخفيف بناء الفعل كأنه يشارك المتسلق في تحمل بعض أحماله. أما "مَا اسْتَطَاعُوا لَهُ نَقْبًا " أثبت التاء لأن ثقب الجدار يحتاج معدات ثقيلة فكلما كانت المعدات أثقل كان النقب في السد أيسر.. وكذلك لأن النقب يحتاج إلى جهد عضلي أكبر.

لفظتا الوالد والأب، التي تلد هي الأم،والوالد من الولادة والولادة تقوم بها الأم وهذه إشارة أن الأم أولى بالصحبة وأولى بالبر قبل الوالد.أما جمع الأب: آباء وأبوة، نحو بعولة وخؤولة. وأصل أب فعل وقد أجرى مجرى قفا في قول الشاعر: إن أباها وأبا أباها، ويقال أبوت القوم كنت لهم أبا أبوهم، وفلان يأبو بهمه أي يتفقدها تفقد الأب.

وزادوا في النداء فيه تاء فقالوا يا أبت[1].لكن في المواريث لأن نصيب الأب أكبر من نصيب الأم استعمل الأب{وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ } [2]في الأموال يستعمل الأبوين وفي الدعاء الوالدين، لاحظ ما قال: (وصينا المؤمنين) بل (وصينا الإنسان) عموما.

لفظتا الرُشد والحق

قال تعالى {يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَداً }[3] وفي الأحقاف قال تعالى{يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ }[4] وكيف نفهم اللمسات البيانية في الآيتين؟

الحق ليس مناقضاً للرُشد ولا الرُشد مناقضاً للحق. الحق أعم من الرُشد، يعني يوصف بالحق أحياناً ما لا يوصف بالرشد ويُخبر عنه بما لا يخبر

(1)الراغب الأصفهاني أبى القاسم الحسين بن محمد، مفردات غريب القرآن، موقع يعسوب، ج1 ص 7

(2) سورة النساء: الآية 11

(3) سورة الجن: الآية 2

(4)سورة الأحقاف: الآية 30

بالحق يعني{فَإِنْ آنَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْداً}[1] هل يمكن أن يقال آنستم منهم حقاً؟ كلا {إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ}[2] {وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ}[3] {وَلْيُمْلِلِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ}[4] {إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ}[5]{وَشَهِدُواْ أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ} [6]

الحق أعمّ وأنه يُذكر في أمور لا يصح فيها ذكر الرُشد. الرُشد لا يقال إلا في العاقل يوصف بالرُشد أما الحق عام، نقول القتل بالحق، هذا المال حق لك، إذن الله هو الحق، الجنة حق والنار حق. كل رشد هو حق لكن ليس كل حق رشداً باعتبار الحق أعمّ.

قال{يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} لم يتوقف في آية الأحقاف عند الحق وإنما اتسع ليشمل الهداية {يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ} وفرق بين الهداية والطريق،الهدى الدلالة فإذا كان مستقيما فهو دلالة إلى الصواب والإيمان هدى لأنه دلالة إلى الجنة وقد يقال الطريق هدى ولا يقال أرشده إلا إلى المحبوب، والراشد هو القابل للإرشاد والرشيد مبالغة من ذلك، ويجوز أن يقال الرشيد الذي صلح بما في نفسه مما يبعث عليه الخير، والراشد القابل لما دل عليه من طريق الرشد، والمرشد الهادي للخير والدال على طريق الرشد ومثل ذلك مثل من يقف بين طريقين لا يدري أيهما يؤدي إلى الغرض

(1) سورة النساء: الآية 6

(2) سورة ص : الآية 64

(3) سورة البقرة: الآية 61

(4) سورة البقرة: الآية 282

(5)سورة آل عمرا: الآية 62

(6) سورة آل عمران: الآية 86

المطلوب فإذا دله عليه دال فقد أرشده وإذا قبل هو قول الدال فسلك قصد السبيل فهو راشد وإذا بعثته نفسه على سلوك الطريق القاصد فهو رشيد، والرشاد والسداد والصواب حق من يعمل عليه أن ينجو وحق من يعمل على خلافه أن يهلك [1].

لماذا إلى طريق مستقيم؟ الحق أعم من الطريق المستقيم ثم لو لاحظنا السياق الذي ورد فيه الطريق المستقيم قال قبلها {قُلْ مَا كُنتُ بِدْعاً مِّنْ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ}[2].

يعني هذه الدعوة ليست بدعة أنا ابتدعتها وإنما هي طريق سلكها الأنبياء والرسل والطريق هي السبيل الذي تطرقه الأرجل، السبيل الذي كثرت سابلته وهو ميسر،أما الطريق فهو الذي تطرقه الأرجل سواء كان ميسراً أو غير ميسر

دلالة استعمال كلمة الطريق يدل على الصراط الحق،وهي العقائد الصحيحة والأمور الثابتة والطريق المستقيم ما يُسلك من الأعمال

لماذا قال الطريق ولم يقل الصراط؟ الطريق هو السبيل الذي تطرقه الأرجل يعني مسلوك هذا هو الطريق،أما الصراط فهو الطريق الواسع سمي (صراط السابلة) يعني يبلعهم، هو متسع ضخم أما الطريق فليس فيه هذا المعنى فقال:طريق مستقيم[3]

(1)أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية،،تحقيق نخبة من مؤسسة النشر الإسلامي، ج1،طع1 2000م، ص 43

(2) سورة الأحقاف: الآية 9

(3)فاضل سامرائي وآخرون،لمسات بيانية، ص 34

المحور الثالث:الإعجاز اللغوي على المستوى الصوتي.

نزل القرآن الكريم باللغة العربية واللغة في جوهرها عبارة عن أصوات أو مقاطع صوتية فهي المادة الأساس المكون للغة، فاللغة كما يرى ابن جني عبارة عن أصوات يعبر بها كل قوم عن أغراضهم، فتبدأ تأليف نظم الكلام من هذه الوحدات الصغرى (الصوت) وتسمى بالعناصر الصوتية الرئيسية والتي يرمز لها بالحروف الألفبائية: أ، ب، ت، ويشكل منها مجموع حروف الكلمة التي ترمز إلى معنى معجمي [1.]وهذه الكلمات تشكل بدورها بناء الجمل والتراكيب التي يكون لكل منها معنى مفيد ومستقل بنيويا [2]

والذي نعتقده أن القرآن حين يراعي الفاصلة ويبقى على تنغيمها إنما يحفظ وسيلة من أقوى وسائله في التأثير لأن رنين الكلمات وجرسها وتوافق إيقاعاتها لغة تتغلغل في النفس والضمير وتسمو بالروح إلى آفاق قدسية فتأخذها نشوة يحسها من يرتل هذه الآيات ترتيلا يتهدج فيه صوته ويتماوج مع ألحانها ثم ينتهي إلى هذه الفواصل فيجد عندها القرار، وهذه اللغة التي نزل بها القرآن لغة دندنة وترنم أحس أسلافنا هذه الفضيلة فيها، وقالوا: أنهم إذا فرغوا فإنهم يلحقون الألف والواو والياء ما ينون وما لا ينون لأنهم أرادوا مد الصوت.. ومد الصوت الذي يلحقون من أجله الألف في الفتح والياء في الكسر والواو في الضم، وسيلة من وسائل تهدئة النفس حين تمتلئ إحساساً

(1)محمد عكاشة،التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية،، دار النشر للجامعات، ط 2005، ص 17

(2) دفه بلقاسم، الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم، بحث منشور بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة عام 2009

بالفكرة أو تختلج بألوان من الشعور وكأنهم اتخذوا من كلمات هذه اللغة أوتاراً فكانت أشجى لحناً وأعذب نغماً [1]

. فسنقدم في هذه الدراسة المتواضعة من النماذج التطبيقية ما يؤيد هذا الطرح، وأظهر ما تؤديه الخصائص الصوتية في إبراز الدلالة في مباحث الإبدال والإدغام وفكه، والحذف والزيادة،.

من مظاهر العدول الصوتي عن طريق الإبدال ما ورد في قوله تعالى:{لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ}[2] فلفظة (مصيطر)من مادة(ص . ط . ر) ولذلك يلحظ العدول الصوتي من خلال إبدال السين بالصاد، وتبدو المناسبة واضحة بين طبيعة الصوت المفخم والموقف التي تدل عليه الآية، فالخطاب موجه إلى الرسول صلى الله عليه وسلم، أي: لست يا رسول الله

بمتسلط عليهم، تجبرهم على الإيمان أو تكرههم عليه، وهي دعوة من الله إلى نبذ التجبر على الناس وأمرهم بالقوة، لأن الهداية لا تكون إلا من عند الله،فلما كانت السيطرة تدل على التجبر والقوة جاءت اللفظة بالصاد المفخمة المجسدة للموقف بدلا من السين المهموسة التي تدل في الغالب على اللين والهمس.

من الظواهر التي وظفها القرآن ظاهرة الإدغام ويؤتى بالإدغام في سياق لغوي معين لغرض دلالي جمالي، فالقرآن لا يتخذ اللغة النموذجية مقياسا دوما، بل قد يجنح إلى بعض لغات العرب على قلتها من ذلك الإدغام في قوله تعالى:{ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

(1)محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 4، 1416هـ - 1996م ص، 359

(2) سورة الغاشية: الآية 22

الْعِقَابِ }[1] وهي لغة تميم، وقرأ طلحة بن مصرف ومحمد بن السميقع (ومن يشاقق الله ورسوله) بإظهار التضعيف في القاف كالتي وردت في الأنفال في الآية 13 وهي لغة أهل الحجاز وقراءة جمهور القراء، ويلحظ من القراءتين لما ذكر لفظ الجلالة وحد كان الإدغام ولما ذكر الرسول صلى اله عليه وسلم معه أظهر الصوتان، ذلك ليعلم القارئ أن من يشاق الله فإنه سيعاقبه عقابا شديدا، فإذا تأملنا قوله تعالى:{قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلِ اللّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لاَّ يَهِدِّيَ إِلاَّ أَن يُهْدَى فَمَالَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ }[2]فالعدول الصوتي تم في (يُهْدَى) التي أصلها (يهتدي)، ولم ترد إلا في هذا الوضع من القرآن، وقد دلت ببنيتها الصوتية وبنبرتها ونغمتها على التثاقل التي الذي يبدو على المتخاذلين اللذين لا يهتدون أبدا إلا أن يُهدوا، ولا يكادون يهتدوا، بل الهداية مع التراخي الذي اتسموا به لا تتحقق في كل حال من أحوال حياتهم [3]

ومن مظاهر العدول الصوتي عن طريق الحذف موافقة الفاصلة أو لغرض جمالي أو دلالي ومن ذلك قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ}[4] قرأ أهل الحجاز (يسري) بإثبات الياء في الوصل، ويقف ابن كثير ويعقوب بالياء والقراء الباقون يحذفون في الوصل والوقف واستحسن الفراء هذه القراءة وعدها الأنسب، إذ يقول " وحذفها أحب إليّ لمشاكلتها رؤوس الآيات لأن العرب قد

(1) سورة الحشر: الآية 4

(2) سورة يونس: الآية 35

(3) الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم: د. دفه بلقاسم، بحث منشور بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

(4) سورة الفجر: الآية 4

تحذف وتكتفي بكسر ما قبلها منها [1]غير أن القاعدة المشهورة عند النحاة هي إثبات لام الفعل المضارع المعتل الآخر، وقد يكون لحذف هذا الصوت المديد علاقة بقصر سريان الليل والقرآن عبر عن الزمن القصير بحذف الحركة الطويلة [2]

وما نذهب إليه أن مشاكلة الفاصلة ليست علة عامة،إذ ليس من الصعب على القرآن أن يأتي بلفظة أخرى تؤدى المعنى نفسه والغرض ذاته من دون أن يتكلف في ذلك حذفا يشاكل به الفواصل السابقة، وقد يكون الحذف بسبب طول الآية فلا يجوز إلا في مقام يستدعيه ضرب من التناسب كما في الآية المذكورة آنفا (والليل إذا يسر) فبالإضافة إلى رعاية الفاصلة القرآنية القائمة على الراء المكسورة، تأبى أن تطول الكسرة بعد الراء في الفعل (يسر) فيكون منها إطالة الصوت، وفي ذلك مراعاة لطول الفواصل التي تضمنتها الآية، ولما كانت الآيات لا تحمل ذاك الطول المقدر حذفت تناسبا كما حذفت في قوله تعالى:{فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ}[3] وتكررت كلمة (نذر)التي لحقها الحذف في الآيات الموالية لها.

قد تزاد أصوات في بعض المواضع من القرآن، وليست الزيادة إلا لتحقيق غرض جمالي، ومن ذلك زيادة هاء السكت في قوله تعالى: (أَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَؤُوا كِتَابِيهْ{19} إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ

(1) معاني القرآن: الفراء، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972 ج3 ص 273

(2)دفه بلقاسم ، الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم: د.، بحث منشور بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية

(3) سورة القمر : الآية 16

حِسَابِيهْ{20} فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ{21} فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ{22} قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ{23} كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئاً بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ{24} وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَالَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيهْ{25} وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيهْ{26} يَالَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ{27} مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيهْ{28} هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيهْ{29}[1] وقوله أيضا: (فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ{9} وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ{10} نَارٌ حَامِيَةٌ{11}[2] يلحظ هاء السكت في فواصل الآيات، كتابيه، سلطانيه، حسابيه، ماليه، ما هيه، وهي لا تعد وأن تكون لرعاية الفاصلة، غير القول بزيادة هاء السكت لرعاية الفاصلة قد يتعارض مع المعنى، وهذا لا يصح أن يقال عن آي القرآن الكريم، لأن الفواصل تبع للمعنى، لا العكس، لأن لها قيمة صوتية ذات وظيفة دلالية، ورعايتها تؤدي إلى تقديم عنصر أو تأخيره، ليس فقط رعاية للتناسق الصوتي، بل رعاية للمعنى أيضاً، وهذا هو الإعجاز[3].

وأن ما يمكن ملاحظته أن الهاءات جاءت في فواصل الآيات، وصوتها ناتج عن الانفراج الواسع لأعضاء النطق، وقد نشعر عند نطقنا لها أنه صوت يخرج من أعماقنا مما يجعله صالحا للتعبير عن مشاعرنا وأحاسيسنا ولذلك نتصور أنه تعبير عن أهات وحسرات الناس يوم الحشر وهم حفاة عراة ينتظرون أدوارهم في قلق واضطراب [4]فالفاصلة القرآنية لم تأت لغرض لفظي فحسب وهو اتفاق رؤوس الآية بعضها مع بعض وإنما جاءت الفاصلة

(1) سورة الحاقة: من الآية 19ـ 29

(2) سورة القارعة: من الآية 9ـ 11

(3)د/ محمد محمد داود،http://forum.stop55.com/9947.html

(4) ا دفه بلقاسم، لإعجاز الصوتي للقرآن الكريم:

في كتاب الله تعالى لغرض معنوي تقتضيه الحكمة مع ما يتصل ذلك من غرض لفظي يتعلق بجمال اللفظ وبديع إيقاع صوتي في الأذن وكلما تأمل الإنسان في فواصل القرآن، وقف على دقائق الإعجاز [1]

المحور الرابع: الإعجاز اللغوي على المستوى النحوي:

تكلم العرب في الجزيرة العربية اللغة العربية حسب قواعد غير مدونة، منها على سبيل المثال رفع الفاعل ونصب المفعول به، وإن كانت هناك بعض الاختلافات بين القبائل العربية في أمور فرعية من قواعد اللغة، إلا أن أغلب قواعد اللغة كانوا متفقين عليها.

وكانت قريش هي أبلغ العرب وكانت لهجتها (لغتها) أكثر اللغات فهماً وانتشاراً في الجزيرة العربية لذا أنزله (بِلِسانٍ عَرَبِيٍ مُبين) قال: بلسان قريش، ولو كان غير عربي ما فهموه. وما أنزل الله عز وجل من السماء كتاباً إلا بالعبرانية، وكان جبريل عليه السلام يُترجم لكل نبي بلسان قومه. وذلك أن الله عز وجل قال (وَما أَرسَلنا مِن رَسولٍ إلّا بِلِسانِ قَومِهِ لِيُبَيِنَ). وليس من ألسنة الأمم أوسع من لسان العرب(2)وقريش كانت مركزاً للتجارة تقصده القوافل، بالإضافة لكونها مركزاً دينياً لقاطني الجزيرة العربية ولنبدأ بعرض آيات من الذكر الحكيم ونذكر أقوال العلماء حول بعض الظواهر النحوية النادرة.

(1)صديق أحمد مالك، الإعجاز اللغوي في القرآن الكريم، أهميته وبعض من وجوه أعجازه، مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية 1433. 2011م (السودان) العدد الثالث والعشرين ص 30

(2)ابن حسنون، اللغات في القرآن، موقع الوراق http://www.alwarraq.com ، ص 1

نصب الفاعل لاختصاص المدح أو الذم، فالفاعل مرفوع في كتب النحو للمبتدئين، ولا يوجد بها أن الفاعل يتم نصبه لاختصاص المدح أو الذم

وعن قول الله تعالى: {لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً }[1]ادعى بعض الجهلاء أن القرآن أخطأ ونصب الفاعل فقال: (المقيمين) وكان يجب أن يقول (المقيمون) ولم يعلموا أن هذه قاعدة معروفة، بوب له سيبويه باسم: باب ما ينتصب على التعظيم والمدح ونظير هذا النصب من الشعر قول الخِرنِق:

لا يبعَدَنْ قومي الذي همُ... سمُّ العُداة وآفةُ الجُزْرِ النازلين بكل مُعتَرَكٍ...

والطيبون معاقدَ الأزر فرفعُ الطيبين كرفع المؤتين . ومثل هذا في هذا الابتداء قول ابن خياط العُكلي:

وكل قوم أطاعوا أمرَ مُرشدهم ... إلا نُمَيراً أمرَ غاويها

الظاعنين ولما يُظعنوا أحداً ... والقائلون لمنْ دارٌ نُخلّيها فقول الشاعر الأول (النازلين)، جاء على النصب لاختصاص المدح بدلاً من قوله (النازلون.)

وقول الشاعر الثاني (الظاعنين) ، جاء على النصب لاختصاص الم بدلاً من القول (الظاعنون.) [2]

في قول الله تعالى: {لَّكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُوْلَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْراً عَظِيماً }[1]

(1) سورة النساء: الآية 162

(2)شبهات المشككين – وزارة الأوقاف المصريةhttp://www.islamic-council.com. ص 434

أ- زعم المعترضون أن: الصواب أن يأتي القول (أن تؤمنوا) بدلاً من (من آمن) و(تؤتوا) بدلاً من (وآتى)، وتقيموا بدلاً من (أقام).

ب- زعم المعترضون أن: الصواب أن تأتي (الصابرون) لأنها معطوفة على مرفوع بدلاً من (الصابرين) الصابرون منصوبة على المدح، فالفاعل ينصب على المدح والذم. مثل قول الله تعالى:{وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ} وكمثال على الذم في قول الله تعالى: {لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ } [2]

البر ها هنا جامع للخير، والتقدير: ولكن البر بر من آمن وعلى نفس المنوال"وَآتَى" معطوفة على (من آمن) وكذلك (وَأَقَامَ) وكذلك (وَآتَى).

فالمعنى هو: البر بر من آمن بالله ... وآتى المال ... وأقام الصلاة ... وآتى الزكاة....

ويذهب صاحب فتح القدير إلى إن التقدير: ولكن ذو البر من آمن، ووجه هذا التقدير: الفرار عن الإخبار باسم العين عن اسم المعنى [3]

يعود ضمير الجمع على مثنى في عدة مواضع بالقرآن الكريم، مثل قول الله تعالى: {وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُواْ أَيْدِيَهُمَا جَزَاء بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِّنَ اللّهِ وَاللّهُ

(1) سورة البقرة: الآية 177

(2) سورة البقرة: الآية 177

(3)الشوكاني، فتح القدير، ج1 ص 224

عَزِيزٌ حَكِيمٌ }[1]{هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُؤُوسِهِمُ الْحَمِيمُ }[2]{إِن تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ }[3]{وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ}[4]

فزعم المعترضون أن الصحيح: (فاقطعوا يديهما) بدلاً من (فاقطعوا أيديهما).

(خصمان اختصما) بدلاً من (خصمان اختصموا.)(صغى قلباكما) بدلاً من (صغت قلوبكما) (طائفتان من المؤمنين اقتتلا) بدلاً من (طائفتان من المؤمنين اقتتلوا).

جمع المثنى موجود في لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم ، حيث كان العرب يستثقلون اجتماع تثنيتين في جملة واحدة (الفتاتان تلعبان وتمرحان و... الخ.)، فيعدلون عن التثنية بالجمع، لأن أول الجمع عندهم الاثنان.

الخاتمة:

لم ينل كتاب في الدنيا دراسات فيه وحوله مثلما نال القرآن الكريم، بيد أنه رغم استبحار ووفرة الدراسات القرآنية، إلا أن القرآن الكريم لا يزال يستنهض الباحثين لمزيد من البحث في آفاقه الممتدة التي لا تتوقف عند نهاية وكل

(1) سورة المائد: الآية 38

(2) سورة الحج: الآية 19

(3) سورة التحريم: الآية 4

(4) سورة الحجرات: الآية 9

باحث . حسبما يتيسر له من أدوات بحثه . يكشف له الله جانباً من أسرار الكتاب ومع ذلك لا تنفذ الأسرار.

في خاتمة هذا البحث نسأل الله تعالى الذي وفقنا وأن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه تعالى، هذا وقد توصلنا إلى نتائج وتوصيات كما يلي:

أولا النتائج:

1. تحقيق الدلالة الصوتية في نطاق تأليف مجموعة أصوات اللفظة المعنية في الجمل أو الآيات القرآنية.

2. إن الجانب الدلالي في هذه الأصوات المتجاورة لم ينكره العلماء القدامى والمحدثين في تحقيق بعض المعاني الدلالية

3. نصب الفاعل لاختصاص المدح أو الذم، فالفاعل مرفوع في كتب النحو للمبتدئين، ولا يوجد بها أن الفاعل يتم نصبه لاختصاص المدح أو الذم ولم يعلموا أن هذه قاعدة معروفة، بوب له سيبويه باسم: باب ما ينتصب على التعظيم والمدح.

4. جمع المثنى موجود في لغة العرب التي نزل بها القرآن الكريم ، حيث كان العرب يستثقلون اجتماع تثنيتين في جملة واحدة، فيعدلون عن التثنية بالجمع

5. بعض الظواهر الصوتية لها دور في تحديد دلالة الأصوات والكلمات في الجمل والآيات القرآنية في هذه الدراسة

6. ارتباط الفاصلة بمعاني التراكيب والآيات، وقد اتسم الصوت القرآني بقوة التأثير انطلاقا من سهولة الأصوات حين إئتلافها.

ثانيا التوصيات:

1. التأمل في دقائق معاني الآيات في كتاب الله والأحاديث النبوية الشريفة المتعلقة بالإعجاز اللغوي في ضوء أصول التفسير ووجوه الدلالة اللغوية.
2. إعداد باحثين لدراسة المسائل اللغوية في ضوء ما ثبت في القرآن والسنة
3. توجيه برامج الإعجاز اللغوي في القرآن والسنة لتصبح وسيلة من وسائل الدعوة
4. تنسيق الجهود المبذولة في العالم في مجال الإعجاز اللغوي في القرآن والسنة والتعاون مع المؤسسات والمراكز ذات الاختصاص.
5. حث الجامعات على إتاحة الفرص والتشجيع على التسجيل في الدراسات العليا، وتقديم المنح الدراسية في مجال الإعجاز اللغوي في القرآن والسنة

ثبت المصادر والمراجع

1. أساس البلاغة (أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله) بيروت، لبنان، مكتبة لبنان ناشرون الطبعة الأولى 1996 الزمخشري.
2. أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن – محمد الأمين الشنقيطي ج4.
3تفسير القرآن العظيم (أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي700 –774 هـ
تحقيق، سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر والتوزيع ط 2، 1420هـ – 1999 م.
4. إعجاز القرآن، الإمام الباقلاني ص 289.
5. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي، دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ لبنان ط9، 1393هـ ـ 1973م
6. الاتقان في علوم القرآن، للأمام السيوطي، دار النشر: دار الفكر – لبنان – 1416هـ– 1996م الطبعة: الأولى، تحقيق: سعيد المندوب ج2.

7. اعراب القرآن المنسوب للزجاج – موقع الوراق.
8. دلالات التراكيب، دراسة بلاغية محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، مصر ،القاهرة الطبعة الثانية 1408 . 1987.
9. شبهات المشككين،وزارة الأوقاف المصرية.
10. جامع البيان في تأويل القرآن، ج 2، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر (الطبري) [224 – 310 هـ] تحقيق أحمد محمد شاكر مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000م.
11 . خصائص التراكيب، محمد محمد أبو موسى، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط 4، 1416هـ . 1996م
10. الإعجاز الصوتي للقرآن الكريم: د. دفه بلقاسم،بحث منشور بمجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة عام 2009
12. التحليل اللغوي في ضوء علم الدلالة، دراسة في الدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية، محمد عكاشة، دار النشر للجامعات، ط 2005.
13. التفسير الميسر د. عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون ج 1، موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
14الجامع لأحكام القرآن، أبو عبد الله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي، طبعة دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان، 1405هـ ـ 1985
15. الخصائص، أبو الفتح عثمان بن جني، ج1.
16 القرآن وإعجازه العلمي، محمد اسماعيل ابراهيم، دار الفكر العربي، دار الثقافة العربية للطباعة

17. المعجم الوسيط،إبراهيم أنيس وآخرون، ط2، مكتبة الشروق الدولية، 2004م.

18. الإعجاز الصوتي في القرآن الكريم د. عبد الله أبو السعود بدر مجلة الهيئة العالمية للإعجاز العلمي في القرآن والسنة، المجلة، العدد السابع.

19. الفروق اللغوية، أبو هلال العسكري،تحقيق نخبة من مؤسسة النشر الاسلاميج1،طع1، 2000م

20. فتح القدير ، الشوكاني، ج1،http://www.altafsir.com

21. الكتاب، سيبويه (أبو بشر عمر بن قنبر)، تحقيق عبد السلام هارون، ج1، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

22. اللغات في القرآن، ابن حسنون موقع الوراق

23. المزهر في علوم اللغة، الإمام السيوطي، ج1 تحقيق:محمد أحمد جاد المولى – محمد أبو الفضل – علي البجاوي. دار النشر:مكتبة دار التراثط3.

24. معاني القرآن: الفراء، تحقيق عبد الفتاح إسماعيل، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1972

25 مفردات غريب القرآن، الراغب الأصفهاني (أبى القاسم الحسين بن محمد) موقع يعسوب، ج1

26. مقاييس اللغة، (أحمد بن فارس بن زكريا أبو الحسين) تحقيق: عبد السلام محمد هارون دار الفكر 1399هـ – 1979 م.

27. موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم والسنة، فاضل السامرائي.

28. لمسات بيانية، فاضل سامرائي وآخرون.

الدوريات

1. مجلة وزارة الثقافة والإعلام، دولة الإمارات العربية المتحدة،الإدارة الثقافية، 1400 - 1401، 1980 - 1981م.

2. مجلة الهيئة العامة للإعجاز العلمي . جامعة الملك سعود، العدد السابع.

3. مجلة جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية 1433. 2011م (السودان) العدد الثالث والعشرين.